تفسير إبن كثير

التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ

هذا نعت المؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بهذه الصفات الجميلة والخلال الجليلة : (التائبون) من الذنوب كلها ، التاركون للفواحش ، (العابدون) أي : القائمون بعبادة ربهم محافظين عليها ، وهي الأقوال والأفعال فمن أخص الأقوال الحمد ؛ فلهذا قال : (الحامدون) ومن أفضل الأعمال الصيام ، وهو ترك الملاذ من الطعام والشراب والجماع ، وهو المراد بالسياحة هاهنا ؛ ولهذا قال : (السائحون) كما وصف أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في قوله تعالى : (سائحات) [التحريم : 5] أي : صائمات ، وكذا الركوع والسجود ، وهما عبارة عن الصلاة ، ولهذا قال : (الراكعون الساجدون) وهم مع ذلك ينفعون خلق الله ، ويرشدونهم إلى طاعة الله بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، مع العلم بما ينبغي فعله ويجب تركه ، وهو حفظ حدود الله في تحليله وتحريمه ، علما وعملا فقاموا بعبادة الحق ونصح الخلق ؛ ولهذا قال : (وبشر المؤمنين) لأن الإيمان

يشمل هذا كله ، والسعادة كل السعادة لمن اتصف به .[بيان أن المراد بالسياحة الصيام]

:قال سفيان الثوري ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد االله بن مسعود قال : (السائحون)

الصائمون . وكذا روي عن سعيد بن جبير ، والعوفي عن ابن عباس .وقال علي بن أبي

طلحة ، عن ابن عباس : كل ما ذكر االله في القرآن السياحة : هم الصائمون . وكذا قال

الضحاك ، رحمه االله .وقال ابن جرير : حدثنا أحمد بن إسحاق ، حدثنا أبو أحمد ،

حدثنا إبراهيم بن يزيد ، عن الوليد بن عبد االله ، عن عائشة ، رضي االله عنها ، قالت :

سياحة هذه الأمة الصيام .وهكذا قال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعطاء ، وأبو عبد

الرحمن السلمي ، والضحاك بن مزاحم ، وسفيان بن عيينة وغيرهم : أن المراد بالسائحين :

الصائمون .وقال الحسن البصري : (السائحون) الصائمون شهر رمضان .وقال أبو عمرو

العبدي : (السائحون) الذين يديمون الصيام من المؤمنين .وقد ورد في حديث مرفوع نحو

هذا ، وقال ابن جرير : حدثني محمد بن عبد االله بن بزيع ، حدثنا حكيم بن حزام ،

حدثنا سليمان ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم

: " السائحون هم الصائمون "[ثم رواه عن بندار ، عن ابن مهدي ، عن إسرائيل ، عن

سليمان الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة أنه قال : (السائحون) الصائمون]

.وهذا الموقوف أصح .وقال أيضا : حدثني يونس ، عن ابن وهب ، عن عمر بن الحارث ، عن عمرو بن دينار ، عن عبيد بن عمير قال : سئل النبي صلى االله عليه وسلم عن السائحين فقال : " هم الصائمون " .وهذا مرسل جيد .فهذه أصح الأقوال وأشهرها ، وجاء ما يدل على أن السياحة الجهاد ، وهو ما روى أبو داود في سننه ، من حديث أبي أمامة أن رجلا قال : يا رسول االله ، ائذن لي في السياحة . فقال النبي صلى االله عليه وسلم : " سياحة أمتي الجهاد في سبيل االله " .وقال ابن المبارك ، عن ابن لهيعة : أخبرني عمارة بن غزية : أن السياحة ذكرت عند رسول االله صلى االله عليه وسلم ، فقال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " أبدلنا االله بذلك الجهاد في سبيل االله ، والتكبير على كل شرف "

.وعن عكرمة أنه قال : هم طلبة العلم . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هم المهاجرون . رواهما ابن أبي حاتم .وليس المراد من السياحة ما قد يفهمه بعض من يتعبد بمجرد السياحة في الأرض ، والتفرد في شواهق الجبال والكهوف والبراري ، فإن هذا ليس بمشروع إلا في أيام الفتن والزلازل في الدين ، كما ثبت في صحيح البخاري ، عن أبي

سعيد الخدري أن رسول االله صلى االله عليه وسلم قال : " يوشك أن يكون خير مال الرجل غنم يتبع بها شعف الجبال ، ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن " .وقال العوفي وعلي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : (والحافظون لحدود االله) قال : القائمون بطاعة االله . وكذا قال الحسن البصري ، وعنه رواية : (والحافظون لحدود االله) قال : لفرائض االله ، وفي رواية : القائمون على أمر االله .